المقرر الثالث: الحديث الخامس عشر

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

١٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ.

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد للدرس:

- يا له من دين قيم، دين أكرم الله به العالمين إنسهم وجنهم، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، دين يدعو أصحابه إلى الرحمة والتراحم، والعفو والتغافل، دين يدعو للتكافل والتعاضد، ويُعلي من قيمة العلم والتعلم، دين تنزل فيه الملائكة والرحمة لتشمل أهله وأصحابه عند ذكرهم لله تعالى وتدارسهم لكتابه وتلاوتهم لآياته.
- وفي هذا الحديث مصداق ذلك، فهلم أخي الطالب لتدارس الحديث وشرحه؛ رجاء أن ينفعك الله به، ويجعلك من هؤلاء القوم الذين خصهم بمرضاته وفضله ورحمته، آمين.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتوَقَّعُ منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا - بعد عون الله تعالى - على أن:

- تُترجم لراوي الحديث.
- تُوضح لغويات الحديث.
- تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
- تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
- تشرح القاعدة الجليلة «الجزاء من جنس العمل».
- تُوضح أهمية تفريج الكرب عن المسلمين.
- تُحدد جزاء التيسير على المعسرين، وستر عورات المسلمين، وإعانتهم.
- تُنفس الكرب عن أخيك المؤمن قدر طاقتك.
- تُيسر على أخيك المعسر لتنال رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة.
- تُبين أهمية طلب العلم.
- تُقبل على طلب العلم الشرعي بهمة ونشاط.
- تصف فضل تلاوة القرآن الكريم ومدارسته.
- يزداد اهتمامك بتلاوة القرآن الكريم ومدارسته.
- تُقبل على فعل الطاعات والأعمال الصالحة.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تَضمَّن الحديثُ الشريف الذي ستدرسه - بعون الله تعالى - عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبَيَّن في الشكل التالي:

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكوِّنة لتعلم درس اليوم:

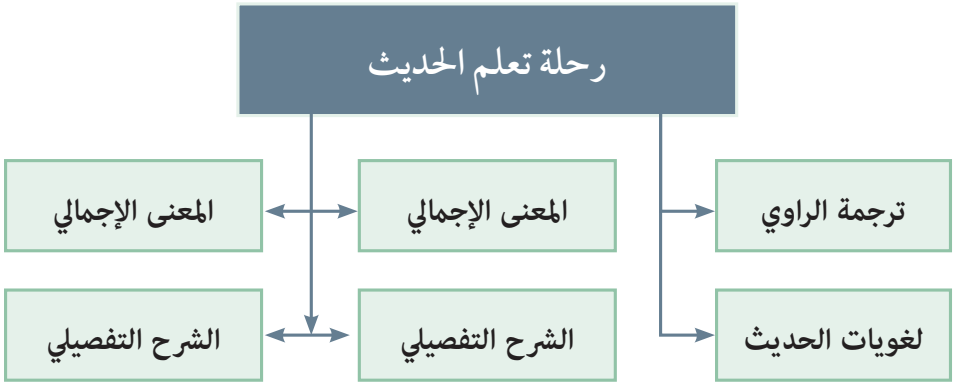

٤. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماميُّ، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها على ثَلاثمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين» (٢٥٣). استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[٢٥٤].

(٢٥٣) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن علان (١/ ٧٢).

(٢٥٤) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــــاط (٣) اقرأ وحلل وأجب

وفق ما اتفقنا عند ترجمة الصحابي الجليل أبي هريرة، نود منك أخي الطالب الرجوع إلى مصادر التعلم المتاحة لديك؛ لتكتب لنا أثرًا أو موقفًا جديدًا لم تذكره من قبل، تتأمله، وتستخرج منه أوجه التأسي والاقتداء:

1. **موقف أو أثر من حياة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه:**

.....

.....

.....

.....

.....

2. **معاني التأسي والاقتداء التي استفدتها وتنوي تطبيقها بعون الله تعالى:**

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٥. لغويات الحديث:

عبارة الحديث	اللغويات
مَنْ نَفَّسَ	أي خفف، أو أزال، أو فرج.
الكُرْبَةُ	هي الشِّدَّة العظيمة التي توقع صاحبها في الكَرْبِ.
السَّكِينة	الطُّمَأْنينة والوَقَار.

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

عبارة الحديث	اللغويات
غشيتهم الرحمة	شملتهم الرحمة وغطتهم.
وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ	تحيط بهم الملائكة.
وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ	مَن قصَّر في الطاعة والعبادات والأعمال الصالحة.

٦. الشرح الإجماليُّ للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رَسُول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ الكُرْبَةُ: هي الشِّدَّة العظيمة التي تُوقِع صاحبها في الكَرْبِ، فمن خفَّفها عن مؤمِن أو أَزَالها وفرَّجها، كان الجزاءُ من جِنس العمل، بتفريج كُربته يومَ القيامة.

«وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ أي: من يسَّر على مُعسِر بإنظاره إلى المَيْسَرة، أو بالوضع عنه إن كان غَريمًا لا يستطيع سَدَادَ دَيْنِه، أو بإعطائه ما يَزُول به إعسارُه، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ أي: من سَتَر زلَّاتِ مسلم في معصية وَقَعت وانقَضت، سَتَره الله في الدنيا والآخرة. «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»؛ فمن أَعَانَ أخاه المسلِمَ، كان جزاؤه من جنس عَمَله بأن يُعِينَه الله تعالى.

«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ أي: من سعى إلى طريق يَطلُب فيه العلمَ النافع، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة.

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» يدلُّ على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ومُدارَستِه في المسجد، حيث تَنزِل الطمأنينة، وتَشمَلهم الرحمة، وتُحيط بهم الملائكة، ويَذكُرهم الله تعالى فيمن عنده من كرام الملائكة.

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»؛ أي: مَن قصَّر في الطاعة والعبادات والأعمال الصالحة، ينبغي أن لا يتَّكِل على شَرَف النَّسَب، وفضيلة الآباء؛ فلن يَنفَعَه إلا عملُه الصالح.

نشاط (٢) ابحث واستدل ودون

1. **الحديث أصل في قاعدة عظيمة في الإسلام، وهي قاعدة: «الجزاء من جنس العمل».**
2. **من خلال مصادر التعلم المتاحة لديك اجتهد في القيام بما يلي:**
   - استدل على هذه القاعدة بآية من القرآن الكريم.
   - استدل على هذه القاعدة بحديث واحد من السنة النبوية.
   - احك قصةً واقعية عايشتها أو حكيت لك؛ تؤكد هذه القاعدة في دنيا الناس.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٧. الشرح المفصَّل للحديث:

إن رسولَ الله ﷺ لم يَدَعْ بابًا من أبواب الخير إلا دلَّ الأمَّةَ عليه، ورغَّبها فيه، وهذا الحديثُ حديث عظيمٌ، يُعدُّ أصلًا من أصول الإسلام، وجامعًا من جوامع الخير للمسلم في الدنيا والآخرة، وجامعًا لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضلُ قضاء حوائج المسلمين ونَفْعِهم، بما يتيسَّر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك.

يقول النبيُّ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، والكُرْبَةُ: هي الشِّدَّة العظيمة التي تُوقِع صاحبَها في الكَرْبِ، وتنفيسُها أن يخفِّف عنه منها، أو يُزيلَها ويفرِّجها، والتفريجُ أعظمُ من التنفيس، حيث يُزيل عنه الكُربة، ويفرِّج عنه، فيَزُول همُّه وغمُّه، وجزاءُ التّنفيسِ التّنفيسُ، وجزاءُ التّفريج التّفريجُ، وهذا يرجع إلى أنّ الجزاء من جِنس العمل، وقد تكاثرت النّصوص بهذا المعنى؛ كقوله ﷺ: «إِنَّما يَرْحَمُ اللهُ من عبادِهِ الرُّحَماءَ»(٢٥٥).

(٢٥٥) رواه البخاريُّ (٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

نشاط (٣) فكر وحلل وقارن

- في التعامل مع الكرب هنالك نوعان من السعي لحلها، الأول: التنفيس، والثاني: التفريج.
- قارن بين الفعلين، وفق الجدول التالي:

وجه المقارنة	تنفيس الكربة	تفريج الكربة
المعنى		
الأفضلية		
مثال		
الأجر المترتب		

قوله ﷺ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» والتَّيسير على المعسِر في الدُّنيا من جهة المال يكون إمَّا بإنظاره إلى المَيْسَرة، أو بالوضع عنه إن كان غريمًا لا يستطيع سَدَاد دَيْنِه، أو بإعطائه ما يَزُول به إعسارُه، وهذا كلُّه فضلٌ عظيم، يجزي الله به بالتيسير على ذلك الميسِّر في الدنيا، وكذلك في الآخرة يومَ القيامة، وقد وصف اللهّ يوم القيامة بأنّه عسير، وأنّه على الكافرين غير يسير، فدلَّ على أنَّه يسير على غيرهم، وعن أبي هريرة عن النّبيِّ ﷺ، قال: «كان تاجرٌ يُدَايِنُ النّاس، فإذا رأى مُعسِرًا قال لِصبيانه: تجاوزوا عنه؛ لعلَّ اللهّ أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز اللهُ عنه»(٢٥٦).

نشاط (٤) فكر وسجل

الفقرة السابقة تناولت التيسير عن المعسر من جهة المال، والسؤال هو: ما الأبواب الأخرى التي يمكن أن يدخل فيها التيسير على المعسرين في غير المال؟ سجل ما تصل إليه في المكان التالي:

صور من ألوان الإعسار التي يمكن أن تعرض للمسلم	كيفية مساعدته والتيسير عليه
طفل يتيم ليس عنده ثياب يذهب بها إلى المؤسسة التعليمية في بلده.	
.....	
.....	

(٢٥٦) رواه البخاريُّ (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

قوله ﷺ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» وهذا ممّا تكاثرت النُّصوص بمعناه، و«السَّتْرُ على المسلم: أن يَستُرَ زلّاتِه، والمرادُ به السَّتر على ذَوي الهَيئات ونحوِهم ممَّن ليس معروفًا بالفساد، وهذا في سَتر معصية وَقَعت وانقَضَت، أما إذا عَلِم معصيته وهو متلبِّس بها، فيجب المبادَرة بالإنكار عليه، ومنعه منها، فإن عجز، لَزِمه رفعها إلى وليِّ الأمر إن لم يترتَّب على ذلك مَفسَدة؛ فالمعروفُ بذلك لا يُستَر عليه؛ لأن السَّتر على هذا يُطمِّعه في الفساد والإيذاء وانتهاك المحرَّمات، وجسارة غيره على مثل ذلك؛ بل يُستحبُّ أن يرفعه إلى الإمام إن لم يَخَفْ من ذلك مَفسَدة، وكذلك القول في جَرح الرُّواة والشهود والأُمَناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب تجريحهم عند الحاجة، ولا يحلُّ السَّتر عليهم إذا رأى منهم ما يَقدَح في أهليَّتهم، وليس هذا من الغِيبة المحرَّمة؛ بل من النصيحة الواجبة»[٢٥٧].

وقد رُوِيَ عن بعض السَّلَف أنَّه قال: أدركتُ قومًا لم يكن لهم عُيوب، فذكروا عيوب النَّاس، فذكر النَّاس لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوب النَّاس، فنُسِيت عيوبهم، وقد قال النّبيُّ ﷺ: «يا مَعْشَرَ من آمَن بلسانه، ولم يَدخُلِ الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عَوْرَاتِهم؛ فإنّه من اتَّبَع عَوْراتِهم، تتبَّع اللهُ عورته، ومن تتبَّع اللهُ عورته، يَفْضَحْهُ في بيته»[٢٥٨].

«واعلم أنّ النّاس على ضربين؛ أحدُهما: من كان مستورًا لا يُعرَف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلَّة، فإنَّه لا يجوز كشفُها، ولا هَتْكُها، ولا التّحدُّث بها؛ لأنَّ ذلك غِيبةٌ محرَّمة، وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوص، وفي ذلك قد قال اللهّ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستَتِر فيما وَقَع منه، أو اتُّهِم به وهو بريءٌ منه، كما في قصَّة الإفك. قال بعض الوزراء الصَّالحين لبعض من يَأمُر بالمعروف: اجتهد أن تَستُر العصاة؛ فإنّ ظهور معاصيهم عَيْبٌ في أهل الإسلام، وأَوْلى الأمور سَتْرُ العُيوب، ومِثْلُ هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقرَّ بحدٍّ، ولم يفسِّره، لم يُستَفْسَرْ؛ بل يُؤمَر بأن يرجع ويَستُر نفسه؛ كما أمر النّبيُّ ﷺ ماعزًا والغامديَّة، وكما لم يُستفسَر الَّذي قال: «أصبتُ حدًّا، فأقمْه عليَّ». ومِثْلُ هذا لو أُخِذ بجريمته، ولم يَبلُغ الإمامَ، فإنّه يُشفَع له حتَّى لا يَبلُغَ الإمام. والثَّاني: من كان مُشتهِرًا بالمعاصي، مُعْلِنًا بها، لا يُبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجر المعلِن، وليس له غِيبةٌ، كما نصَّ على ذلك الحسن البصريُّ وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتُقام عليه الحدود... ومثل هذا لا يُشفَع له إذا أُخِذ، ولو لم يَبلُغ السُّلطان؛ بل يُترَك حتّى يقام عليه

(٢٥٧) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص ١١٩، ١٢٠).

(٢٥٨) رواه أحمد (٢٠٠١٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٤٠): حسن صحيح.

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

الحدُّ؛ لينكفَّ شَرُّه، ويرتدع به أمثاله»[٢٥٩].

أنواع الناس في الستر	
من كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي	١
من كان مُشتهِرًا بالمعاصي، مُعْلِنًا لها	٢
فإذا وقعت منه هفوة، أو زلَّة، فإنَّه لا يجوز كشفُها، ولا هتْكُها، ولا التّحدُّث بها	٣
لا بأس بالبحث عن أمره والكشف عن سره لتُقام عليه الحدود	٤

«وقوله: «كربةً من كرب يوم القيامة»، ولم يقل: من كُرَب الدّنيا والآخرة كما قيل في التَّيسير والسَّتر، وقد قيل في مناسبة ذلك: إنّ الكُرَب هي الشّدائد العظيمة، وليس كلُّ أحد يحصل له ذلك في الدُّنيا، بخلاف الإعسار والعَوْرات المحتاجة إلى السَّتر، فإنَّ أحدًا لا يكاد يخلو في الدُّنيا من ذلك، ولو بتعسُّر الحاجات المهمَّة. وقيل: لأنَّ كُرَب الدُّنيا بالنِّسبة إلى كُرَب الآخرة كلَا شيءٍ، فادَّخَر اللهّ جزاء تنفيس الكُرَب عنده، لينفِّس به كُرَب الآخرة»[٢٦٠].

قوله ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلِم؛ لا يَظلِمُه، ولا يُسلِمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّج الله عنه كُربةً من كُربات يوم القيامة، ومَن ستَر مُسلمًا ستَره الله يوم القيامة»[٢٦١].

وبعث الحسن البصريُّ رحمه الله قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مُرُّوا بثابت البنانيِّ، فخذوه معكم، فأَتَوا ثابتًا، فقال: أنا معتكِفٌ، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمشُ، أما تَعلَم أنَّ مَشْيَكَ في حاجة أخيك المسلم خيرٌ لك من حَجَّة بعد حجَّة؟! فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه، وذهب معهم.

---

(٢٥٩) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٩١ - ٢٩٣).

(٢٦٠) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٧).

(٢٦١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

نشاط (٥) فكر وسجل

مر بك سابقًا أن الحديث أصل في قاعدة «الجزاء من جنس العمل»، ولعلك أدركت بعد أن وصلت إلى هنا في قراءة شرح الحديث أنه أيضًا أصل في باب آخر من أبواب الأخلاق الإسلامية التي ينبغي أن تتوفر بين أفراد المجتمع المسلم، فما الخلق الإسلامي الذي يحض عليه الحديث؟

.....

فكر ثم تخيل ثم سجل «حال المجتمع المسلم وقد تخلى عن هذا الخلق الذي حث عليه الحديث».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قوله ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ أي: من سعى إلى طريق يَطلُب فيه العلم النافع، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة. وسلوكُ الطريق يَشمَل الطريقَ الحسيَّ، والطريقَ المعنويَّ؛ فأما الحسيُّ فهو الطريق الذي يسير فيه طالبُ العلم، سواءٌ كان ماشيًا أو راكبًا؛ كأن يأتيَ الإنسانُ من بيته إلى مكان العلم، سواءٌ كان مكانُ العلم مسجدًا، أو مدرسةً، أو جامعةً، أو غيرَ ذلك، ومن ذلك أيضًا الرحلة في طلب العلم؛ كأن يرتحل الإنسان من بلده إلى بلد آخَرَ يلتمس العلمَ، ونحو ذلك. والثاني: الطريق المعنويُّ، وهو الطريق الذي يُتوصَّل به إلى العلم؛ كالحفظ والفَهْم، والمُدارسة، والمذاكرة، والمطالَعة، سواءٌ أكان مِن أفواه العلماء، أو مِن بُطون الكتب مراجعةً وبحثًا، فمِثلُ هذا يكون سالكًا لطريق العلم وإن كان جالسًا[٢٦٢].

(٢٦٢) انظر: «شرح رياض الصالحين» ابن عثيمين (٥/ ٤٣٣- ٤٣٤).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

وكما أطلق ﷺ لفظ الطريق، وأتى به عامًّا ليشمل جميع الطُّرق الحِسِّية والمعنوية الموصِّلة للعلم، كذا أطلق لفظ العلم، وأتى به مُنكَّرًا؛ ليشمل جميع فروع عِلم الدين ومسائله، ولينـدرجَ فيه القليل والكثير منه(٢٦٣).

وقوله: «سهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنة»؛ فمَن كان هذا حالَه، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة، أو يُسهِّل الله له العلم الذي طلبه، وسَلَك طريقه، ويُيسِّره عليه؛ فإن العلم طريقٌ موصِّلٌ إلى الجنة؛ بل هو من أقربها؛ إذ بالعلم الشرعيِّ يُعرَف الحلال والحرام، ومُرادُ الله من العباد، والوسائل المُعينة على رضاه سبحانه وتعالى. والجَنَّة هي دار كرامة الله تعالى ونعيمه لعباده الطائعين، وقد كثُر ذِكرها بأوصافها، وكذا ذِكرُ ما يوصِّل إليها في الكتاب والسُّنة.

نشاط (٦) حلل وقارن وسجل

« وسلوكُ الطريق يَشمَل الطريقَ الحسيَّ، والطريقَ المعنويَّ» وضح هذه العبارة من خلال الجدول التالي:

وجه المقارنة	الطريق الحسي	الطريق المعنوي
المراد به		
أمثلة		

قوله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه»: وهذا دليلٌ على فضل الاجتماع من أيِّ مجموعة على تلاوة القرآن ومُدارسته في المسجد، والسكينة ها هنا بمعنى الطمأنينة والوقار. «وغَشِيَتهم الرحمة»؛ أي شَمِلتهم وغطَّتهم، «وحفَّتهم الملائكة»؛ أي: أحاطت بهم؛ فكأن الملائكة قريبة منهم قُربًا حفَّتهم حتى لم تدع فُرجةً تتَّسِعُ لشيطان. «وذكرهم الله فيمن عنده»؛ أي: ذكرهم الله تعالى فيمن عنده من كِرام الملائكة.

و»هذا يدلُّ على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومُدَارَستِه، وهذا إن حُمِلَ على تعلُّم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢٦٤)، وإن حُمِلَ على ما هو أعمُّ من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مُطلَقًا»(٢٦٥).

---

(٢٦٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٠)

(٢٦٤) رواه البخاريُّ (٥٠٢٧).

(٢٦٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٠٠، ٣٠١).

قوله ﷺ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»؛ أي: مَنْ كان عملُه ناقصًا لم يُلحِقْه بمرتبة أصحاب الأعمال، ينبغي أن لا يتَّكِل على شرف النَّسَبِ، وفضيلة الآباء، ويُقصِّر في العمل.

«وقولُه: «ومن بطَّأ به عَمَلُه، لم يُسرِع به نَسَبُه»: يريد آخرة عمله السيِّئ، أو تفريطه في الحسنات المُعْلِيَة للدرجات عن اللحاق بمنازل المتَّقِين والأبرار، وعن دخول الجنة في أول زُمرة، لم ترفعه رِفْعَةُ نَسَبه ومكانته في الدنيا، ولا جَبَر هذا النقص الذي ثَلَم حاله»[٢٦٦].

و»معناه: أنَّ العمل هو الّذي يَبلُغ بالعبد درجاتِ الآخرة؛ كما قال تعالى: وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢]، فمن أبطأ به عملُه أن يبلُغ به المنازل العالية عند اللهّ تعالى، لم يُسرِعْ به نَسَبُه، فيبلِّغه تلك الدَّرجات؛ فإنّ اللهّ تعالى رتَّب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب؛ كما قال تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقد أمر اللهّ تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال: وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

قال ابن مسعود: يَأمُرُ اللهُ بالصِّراط، فيُضرَب على جهنَّمَ، فيَمُرُّ النَّاس على قَدْرِ أعمالهم زُمَرًا زُمرًا، أوائلُهم كلمح البَرْقِ، ثمّ كمَرِّ الرِّيح، ثمّ كمَرِّ الطَّير، ثمّ كمَرِّ البهائم، حتى يمرَّ الرَّجل سعيًا، وحتى يمرَّ الرّجل مَشْيًا، حتى يمرَّ آخرُهم يَتَلَبَّطُ على بَطْنِه، فيقول: يا ربِّ، لِمَ أبطأتَ بي؟ فيقول: إنّي لم أُبطِئْ بك؛ إنّما أبطأ بك عَمَلُكَ.

وفي «الصّحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهّ ﷺ: حين أُنزِل عليه: وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهَّ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهَّ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهَّ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهَّ شَيْئًا»[٢٦٧]»[٢٦٨].

---

(٢٦٦) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ١٩٥).

(٢٦٧) رواه البخاريُّ (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

(٢٦٨) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٠٨).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

نشاط (٧) ابحث وتأمل وسجل

قاعدة: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، هي قاعدة يعامل الله بها عباده جميعهم سواءً أكانوا من أمة الإسلام أم من الأمم السابقة، وقد ورد في سِيَر السابقين، وتاريخ الغابرين قصص ومواقف ذكرها القرآن وجَلَّاها لتكون عبرةً وعظةً لكل أحد، ومن خلال مصادر التعلم المتاحة لديك، راجع سريعًا قصص الأنبياء عليهم السلام، وتعرَّف على القصص التالية:

- هلاك ابن نوح عليه السلام.
- هلاك زوجة نوح عليه السلام.
- هلاك أبي إبراهيم عليه السلام.
- هلاك زوجة لوط عليه السلام.
- هلاك قارون الذي كان من قوم موسى عليه السلام.

اختر واحدة من تلك القصص، وسجل تأملاتك حولها بالتفصيل، من خلال الجدول التالي:

اسم القصة	.....
سرد أحداث القصة بالشواهد القرآنية	.....
ما استفدته من القصة على العموم	.....
أعمال تنوي القيام بها	.....

٨. أحاديث للمدارسة:

- من الأحاديث العظيمة التي وردت في الباب أيضًا حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[٢٦٩]، والمقصود هنا الرحمة بكل أحد؛ الإنسان، الحيوان الطير، فكل من لا يرحم مخلوقات الله أيا كان نوعها، جنسها، لونها، أصلها، مالها، خلقها... إلخ فهو معرض لئلا تناله رحمة الله تعالى، وأي خسارة أعظم من ذلك، فرحمة الله تعالى قسمها ١٠٠ جزء، أنزل منها جزءًا واحدًا في الدنيا، وادَّخَر الباقي ليوم القيامة،

(٢٦٩) رواه البخاريُّ (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

والمحروم حقًّا من حُرِمَ رحمة الله حينئذ، نسأل الله السلامة والعافية، وجعلنا وإياك من المرحومين.

- وفي هذ الحديث دليل على عظمة هذا الدين، ورعايته للضعفاء أيًّا كانوا بشرًا أو طيرًا أو حيوانًا.
- كذلك من الأحاديث التي تناولت ذات الأمر الحديث الذي رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٢٧٠).
- وهو أصرح في الحديث عن المجتمع المسلم، والصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها أفراده، حالة من الاستنفار والتعاضد الذي لا يفتر ولا يتوقف، وهل رأيت جسدًا يتخلف عن إدارة شؤون نفسه، ويسعى في حل إشكالات أعضائه بما هداه الله إليه وقدره له؟!! فالجسد إذا اعتلَّ منه جزء وتألَّم، دعا بقيةُ أعضائه، بعضه بعضًا، إلى المشاركة في الألم، وما يَنتِج عنه من عدم النَّوم وارتفاع الحرارة. وهكذا ينبغي أن يكون حال المجتمع المسلم.

٩. من توجيهات الحديث:

- هذا الحديثُ يُعدُّ أصلًا من أصول الإسلام، وجامعًا من جوامع الخير للمسلم في الدنيا والآخرة، وجامعًا لأنواع من العلوم والقواعد والآداب؛ ففيه فضلُ قضاء حوائج المسلمين ونَفْعِهم، بما يتيسَّر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك.
- في الحديث: فضلُ التيسير على المعسِر، وفضلُ السعي في طلب العلم، ويَلزَم من ذلك فضلُ الاشتغال بالعلم، ويُشترَط أن يُقصَد به وجه الله تعالى.
- الجزاء من جِنس العمل؛ فجزاءُ التّنفيسِ التّنفيسُ، وجزاءُ التّفريجِ التّفريجُ، وقد تكاثرت النّصوص بهذا المعنى، من أن الجزاءَ من جِنس العمل؛ كقوله ﷺ: «إِنَّما يَرْحَمُ اللهُ من عبادِهِ الرُّحَماءَ»(٢٧١).
- في الحديث الحثُّ على طلب العلم، وبيان فضل الرحلة إليه، والجِدِّ في طلبه.
- من سعى إلى طريق يَطلُب فيه العلم النافع، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة.
- سلوكُ الطريق لالتماس العلم يَشمَل الطريقَ الحسيَّ، والطريقَ المعنويَّ.

---

(٢٧٠) رواه البخاريُّ (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢٧١) رواه البخاريُّ (٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

- الجَنَّة هي دار كرامة الله تعالى ونعيمه لعباده الطائعين، وقد كثُر ذِكرها بأوصافها، وكذا ذِكرُ ما يوصِّل إليها في الكتاب والسُّنة، ومن أهمها طريق العلم.
- من عَمِل بما عَلِم، أَورثه اللهَّ عِلْمَ ما لم يَعلَم.
- بالعلم يُعرَف الله حقَّ المعرفة، وبالعلم يُهْتَدَى فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللهُّ كِتَابَهُ نُورًا؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦][٢٧٢].

من رقيق الشعر

ومَنْ لم يُقِمْ سِتْرًا على عَيْبِ غَيْرِهِ ... يَعِشْ مُسْتَبَاحَ العِرْضِ، مُنْهَتِكَ السِّتْرِ
لا تَلْتَمِسْ مِن مَسَاوِي النَّاسِ ما سَتَرُوا ... فيَهْتِكَ النَّاسُ سِتْرًا مِن مَسَاوِيكا
واذْكُرْ محاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَعِبْ أحدًا عَيْبًا بما فِيكَا

***

لَوْلا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ ما شَرُفَتْ ... نَفْسٌ ولا ازدَهَرَتْ أَرْضٌ بعِمْرَانِ
أُعِينُ أَخِي أو صاحِبِي في بَلائِه ... أَقُومُ إذا عَضَّ الزَّمانُ وأَقْعُدُ
ومَن يُفْرِدِ الإخوانَ فيما يَنُوبُهُمْ ... تَنُبْهُ اللَّيَالِي مَرَّةً وهو مُفْرَدُ

***

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ ... فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ
لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبْ

(٢٧٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٩٨).

ثالثًا: التقويم

١. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

أ. أي مما يلي ليس من التيسير على المعسر:

- إلزام المدين بالموعد المحدد لسداد الدين.
- إنظاره لما بعد الموعد المحدد لسداد الدين.
- إعطاؤه ما يزول به إعساره.

ب. الستر المأمور به في الحديث يشمل:

- كل أحد ما دام مسلمًا
- من لم يعرف بالفساد.
- من كان مُتلبسًا بمعصية.

ت. من الستر على العاصي إذا جاء تائبًا ومُقرًا بحد أن:

- يستفسر منه عن معصيته.
- يحث على الرجوع عن إقراره لستر نفسه.
- يُوضح ما ارتكب من المعاصي تفصيلًا.

ث. يُعدُّ.....من الطرق الحسية لطلب العلم:

- الحفظ والفهم والاستذكار.
- المذاكرة والمدارسة والمطالعة.
- الارتحال من بلد إلى بلد لالتماس العلم.

ج. يقصد بقوله ﷺ « حفتهم الملائكة «.....الملائكة.

- -أحاطت بهم
- ذكرتهم
- دعت لهم

٢. ضع خطًّا تحت الإجابة الصحيحة، فيما يلي، مع التعليل:

ح. الطريق المعنويُّ في طلب العلم، هو الطريق الذي يُتوصَّل به إلى العلم؛ كالحفظ والفَهْم. (صواب - خطأ)

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

خ. الستر يكون على المسلم حتى وإن كان معروفًا بالفسق حتى لا ييأس من التوبة. (صواب - خطأ)

د. من كان مستورًا، لا يُعرَف بشيء من المعاصي، إذا وقعت منه هفوة، أو زلَّة، فإنَّه لا يجوز كشفُها، ولا هَتْكُها، ولا التّحدُّث بها. (صواب-خطأ)

ذ. الفاسق الفاجر المعلن بمعصيته ليست له غيبة. (صواب - خطأ)

٣. أكمل مكان النقط

أ. يقصد بقوله ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ» أي من .....

ب. من أمثلة الجزاء من جنس العمل الواردة في الحديث .....

ت. جزاء من ييسر على المعسرين هو .....

ث. جزاء من يسلك طريقًا لطلب العلم هو .....

ج. من أفضال تلاوة القرآن الكريم ومدارسته .....

٤. أجب عما يلي:

ح. «الستر على أهل المعاصي يحتاج إلى فقه وفهم دقيق لحال المعصية وحال العاصي»، في ضوء فهمك للحديث اشرح هذه العبارة.

.....

.....

خ. علل من خلال دراستك لشرح الحديث: لماذا قال النبي ﷺ «من كرب القيامة» ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة؟

.....

.....

د. ما الحكم التي يمكن أن تستنتجها لأمر النبي ﷺ بالستر على العصاة من المسلمين؟

.....

.....

ذ. اذكر حديثًا يبين فضل إنظار المعسرين والتجاوز عنهم يوم القيامة.

.....

.....

ر. اشرح الحديث شرحًا إجماليًّا.

.....

.....